مقدمة

تعرض الشرق الاوسط خلال الألف الثانى من الميلاد لثلاث غزوات من الغرب ، كانت أولاها عندما زحفت الحملات الصليبية بدءا من عام ١٠٩٩ لتسيطر على المنطقة وتمارس فيها استعمارا استيطانيا تحت مزاعم الدين الذى كان منها بريئًا .

وجاءت الغزوة الثانية مع مطلع القرن التاسع عشر لتفرض الرأسمالية الغربية على الشرق الاوسط علاقة تبادل اقتصادى غير متكافىء تقوم على اعتبار أن الغرب الاوربى هو مركز تجميع فائض القيمة الاقتصادية المنتزعة من دول الهامش العربية التى كان عليها أن تكتفى بوظيفة دعم آلة الإنتاج الغربية بحاجتها من الخامات والمواد والأيدى العاملة الرخيصه ، ثم تفتح لها أسواقها لتصريف أكبر قدر من الكماليّات بأغلى الأسعار ، بقصد امتصاص عائد ما قامت بتصديره للغرب حتى لايعود على أصحابه بأية فوائد .

وقد تطلب تأمين تلك الغزوة الرأسمالية أن تحتل أغلب دول أوروبا الغربية مئات القواعد العسكرية فى الشرق الأوسط ، وعن كثب من حوله ، لتضمن استمرار النهب الاستعمارى لثروات العرب مع اجبارهم على الرضوخ لهذه العلاقات الجائرة ، عن طريق غطرسة القوة ومناورة الأساطيل والجيوش للترويع وفرض الارادة على الحكومات الوطنية .

ثم جاءت الغزوة الثالثة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى صورة محاولات خبيثة لملء الفراغ المزعوم ، والمترتب على التغييرات التى دخلت على الخريطة السياسية الجديدة بعد تلك الحرب وكمحاولة لفرض أحلاف فى منطقة الشرق الاوسط تتيح للاستعمار ان يغير وجهه المرفوض من شعوب المنطقة ، ليظل يمارس نفس اساليبه تحت قناع متطور يزعم ان الرغبة الحميدة هى التى تدفعه الى ملء الفراغ الذى ترتب على انحسار الاستعمار وقواعده العسكرية عن المنطقة ، مع الاستعداد للمشاركة فى الدفاع عنها ضد الأخطار التى تتربص بها متغافلا عن أن هذا الاستعمار الغربى نفسة كان ولايزال أشد تلك الأخطار على المنطقة .

وقد تعرض العالم العربى خلال تلك الغزوة الثالثة إلى أزمتين طاحنتين ، نشبت

الأولى بقيام دولة إسرائيل فى قلب الوطن العربى وأعز أراضيه ، وفشل الدبلوماسية والسياسة والعسكرية العربية فى الحفاظ على عروبة فلسطين .

ثم نشبت الازمة الثانية كرافد للاولى وبسببها ، عندما توالت الانقلابات والثورات لإسقاط نظم الحكم التى تجاوزها الزمن ، لتقيم مكانها نظماً أخرى عصرية إلا أنها سرعان ما اصطدمت بالتناقضات الحادة بين الإمكانات المتواضعة المتاحة والغايات الضخمة المنشودة ، فتعثرت فى مسيرتها وتواضعت أو تلاشت إنجازاتها .

وراحت الأزمتان سالفتا الذكر تدفعان الوطن العربى نحو ساحة صراع إقليمى يتربص الغرب فيه بالعرب بهدف استدراجهم إلى صراع مسلح بالأصالة والوكالة ليستعيد هيمنته على الوطن العربى فيما عرف بالعدوان الثلاثى على مصر ، الذى كان بمثابة صحوة الموت للاستعمار الأنجلو فرنسى فى الشرق الأوسط ، الذى شاء القدر أن تكون نهايته فى نفس المكان الذى كان قد دخل منه منذ ٧٤ عامًا ليحتل مصر ... « **احتلالا مؤقتا** » على نحو ما زعم وقتذاك !

ولقد تميَّز العدوان الثلاثى بأنه الحرب التى كسبها سياسيًا أحد أطرافها (مصر) ، بينما كسبها عسكريًا الطرف الآخر (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) ، كما أنها كانت نقطة التحوّل فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط ، بنزوح القوى الاستعمارية عنه ، ودخول القطبان العظيمان بنفوذهما إليه ، لترث الولايات المتحدة المركز الذى كانت بريطانيا وفرنسا تتمتعان به فى تلك المنطقة ، بينما سعى الاتحاد السوفيتى إلى أن يحقّق حلم القياصرة بالوصول إلى مياهها الدافئة .

أما مصر فقد خرجت من هذه الحرب بمكاسب سياسية واقتصادية ومعنوية عظيمة ، إذ حرَّرت إرادتها الوطنية ، واستعادت سيطرتها على قناة السويس ، وقامت بتمصير اقتصادها ، كما تبوأت المكانة الأدبية الرفيعة بين دول العالم الثالث وصار كفاحها وصمودها فى وجه دولتين كبيرتين مثلاً يحتذى بين الأمم .

المؤلفان

مايو ١٩٩٦